

واحدة ابن زريق البغدادي دراسة في البناء الشكلي واللغة الشعرية

م. مؤيد جاسم محمد حسين؛ كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة العربية
م. أسامة عبد الغفور العبيدي؛ كلية التربية، قسم اللغة العربية
م. م محمد حسين علي حسين؛ كلية التربية، قسم اللغة العربية

المستخلص :-

هذا بحث وسمناه بـ (واحدة ابن زريق البغدادي، دراسة في البناء الشكلي واللغة الشعرية). وجعلناه مقسماً على مبحثين، المبحث الأول درسنا فيه البناء الشكلي للقصيدة، واحتوى على مطلبين، المطلب الأول درسنا فيه موضوع القصيدة وصدق الشاعر، أما المطلب الثاني فدرسنا فيه اللغة الشعرية للقصيدة وجعلناه على ثلاثة مستويات، الأول درسنا فيه المستوى الصوتي، والثاني درسنا فيه المستوى اللفظي أما الثالث فدرسنا فيه المستوى التركيبي.

المقدمة :-

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين نبينا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين الميامين.

وبعد :-

فهذا بحث وسمناه بـ (واحدة ابن زريق البغدادي دراسة في البناء الشكلي واللغة الشعرية) ولم نتوسع في عرض المادة بغية إيلاء هذين الجانبين مساحة أوسع من التركيز، وهناك جملة من الأسباب التي دعتنا للوقوف عند هذا الموضوع ودراسته هي :-

١ - وجود قصيدة واحدة فريدة قالها الشاعر ابن زريق البغدادي .

٢ - الغموض الذي يحيط حياة الشاعر.

٣ - الشك الذي يعتري نسبة القصيدة لهذا الشاعر.

وجعلناه مقسماً على تمهيد ومبحثين، المبحث الأول درسنا فيه البناء الشكلي للقصيدة، واحتوى على مطلبين، المطلب الأول : درسنا فيه موضوع القصيدة وصدق الشاعر، أما المطلب الثاني فدرسنا فيه حسن الابتداء والختام.

والمبحث الثاني درسنا فيه اللغة الشعرية للقصيدة، وجعلناه على ثلاثة مستويات، الأول درسنا فيه المستوى الصوتي، والثاني درسنا فيه المستوى اللفظي، أما الثالث فدرسنا فيه المستوى التركيبي. ولقد اخلصنا النية في أن نوفي بحثنا ما يستحق من جهد، فإن أصبنا فيما ذهبنا إليه، فذلك من الله، وإن كانت الأخرى فحسبنا إننا قد اجتهدنا في عملنا، والحمد لله أولاً وآخراً.

التمهيد :-

عرفت هذه القصيدة بواحدة شاعر بغداد المعدم، علي بن زريق البغدادي،^(١) قال عمر فروخ ((إن ابن زريق له اسمان الأول الحسن بن زريق البغدادي، والثاني هو علي بن زريق البغدادي))،^(٢) وجاء في معجم المؤلفين إنه أبو الحسن علي بن زريق البغدادي، شاعر، كاتب، انتقل إلى الأندلس، وقيل انه توفي فيها سنة (٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) وقد عرف بقصيدته العينية،^(٣) ويرى نعمان ماهر الكنعاني ان ابن زريق البغدادي شاعر خيالي عنقائي الوجود لامع الاسم.^(٤) وقيل إن ابن زريق البغدادي هام بفتاة وأراد الزواج منها فحال فقره دون ذلك، فقصد أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرّب إليه بنسبه فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلّوه ويختبره فأعطاه شيئاً نزرأ، فقال البغدادي ((إننا لله وإننا إليه راجعون، سلكت البراري والبحار والمهامة والقفار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر))^(٥)، فانكسرت نفسه واعتل ومات ووجدوا عند رأسه رقعة كتب فيها قصيدته.^(٦) وهنا يتبادر إلى أذهاننا سؤالان :-

الأول :- إن الشاعر الذي تنتسب إليه قصيدة أو مقطوعة قد ينسب إليه لاعلى وجه التحقيق شيء من الشعر كما هو الحال في بعض قصائد قيس بن الملوح (مجنون ليلى)^(٧) عدا ابن زريق فهو الشاعر الذي نظم قصيدة طويلة عامرة ولم ينسب إليه بيت من الشعر سواها، وهذا أمر يثير التساؤل.

والثاني :- إن واحدة ابن زريق البغدادي يمكن أن تعد من الشعر الذي لا يقوله إلا من كان شاعراً متمكناً، ذلك أن من الاستحالة بمكان أن ينظم شاعر قصيدة كقصيدة ابن زريق البغدادي هذه دون أن يكون قد عالج نظم الشعر زماناً. وأنكر نعمان ماهر الكنعاني وجود شاعر يسمى ابن زريق البغدادي، لأن بعض المؤرخين اغفلوا ذكره ونسبة قصيدته له ولخلو القصيدة من المدح، كل هذا حدا به إلى إنكار شاعر يسمى ابن زريق البغدادي، وذهب إلى أن هذه القصيدة من نظم شاعر فحل أخفى اسمه لسبب ما خلع عليها هذا الاسم المستعار، أو أنها من نظم فقيه أو عالم كان يرى في الشعر سبة لدينه وعلمه، فجعل من ابن زريق خالداً من الشعراء.^(٨)

والذي نراه أن ابن زريق البغدادي شاعر اشتهر بواحدته المتعددة الأغراض، لكن الغرض الغالب عليها هو الشكوى، شكوى الزمان والحال، وشكوى الحب والفراق والفقر، وفيها الم ولوعة ظاهراً، كما إن فيها غزلاً صادقاً عاطفةً مزوجاً بالعتاب واللوم كقوله :

(١) اطلعنا على معظم كتب التراجم القديمة فلم نجد سوى ترجمته المقتضبة في الوافي بالوفيات : للصفدي ٧٧/٢١ - ٧٦، تحقيق احمد الأرنؤوط.

(٢) الأدب العربي : عمر فروخ ٥٠/٤، دار التراث العربي، بيروت، ط ١٩٩٣ م

(٣) ينظر معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة، ٩٥/٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. (د.ت)

(٤) شعراء الواحدة : نعمان ماهر الكنعاني ٩٣، منشورات مكتبة النقاء، بغداد ط ١٩٨٥.

(٥) مصارع العشاق : أبو محمد جعفر بن احمد السراج القارئ، ٢٣ / ١

(٦) ينظر المصراع السابق ٢٣/١.

(٧) ينظر حديث الاربعاء : د. طه حسين ١٧٧/١.

(٨) ينظر شعراء الواحدة : ٩٣ - ٩٤

لا تعذليه فان العذل يولعه
جاوزت في لومه حدا اضربه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا
قد كان مضطلعا بالحب يحمله
يكفيه من لوعة التنفيذ أن له

وحوت القصيدة آياتا من الحكمة مثل قول الشاعر:

وما مجاهدة الإنسان توصله
والله قسم بين الخلق رزقهم
لكنهم ملثوا حرصا فلست ترى
والسعي في الرزق والأرزاق قد قسمت
والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه

وقوله ايضا:

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته
ومن غدا لا بسا ثوب النعيم بلا

وأشارت الى أن ناظمها طلب الرزق في غير مكان ونشد العيش ضاربا له في الافاق مثلما جاء في قول الشاعر:

ما أب من سفر إلا وأزعجه
كأنما هو من حل ومرتحل
إذا الزماع أراه في الرحيل غنى
ولو إلى السفر بالعزم يجمعه
موكل بفضاء الله يذرعه
ولو إلى السند اضحى وهو يزمعه

وهي تتألف من تسعة وثلاثين بيتا، توحى بخبرة ناظمها وتجاربه وفهمه للحياة بناها الشاعر على وزن البسيط

ونصها: (٩)

١	لا تعذليه فان العذل يولعه	قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
٢	جاوزت في لومه حدا اضربه	من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
٣	فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا	عن عنفه فهو مضنى القلب موجعه
٤	قد كان مضطلعا بالحب يحمله	فضيقت بخطوب البين أضلعه
٥	يكفيه من لوعة التنفيذ أن له	من النوى كل يوم ما يروعه
٦	ما أب من سفر إلا وأزعجه	رأى إلى سفر بالعزم يجمعه
٧	كأنما هو من حل ومرتحل	موكل بفضاء الله يذرعه
٨	إذا الزماع أراه في الرحيل غنى	ولو إلى السند اضحى وهو يزمعه
٩	تأبى المطامع إلا أن تجشمه	للرزق كذا وكم ممن يودعه
١٠	وما مجاهدة الإنسان توصله	رزقا ولا دعة الإنسان تقطعه
١١	والله قسم بين الخلق رزقهم	لم يخلق الله مخلوقا يضيعه

(٩) ورد نص القصيدة في الوافي بالوفيات : ٢١ / ٧٧ و ٧٨، ومصارع العشاق : ١ / ٢٣، ذكر آياتها منها، والكشكول: للشيخ بهاء الدين العاملي ١٥٦ - ١٥٨ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٧، ١٩٩٩ م، وشعراء الواحدة : ٩٥ و ٩٦.

مستزقاً وسوى الغيات يقنعه
 بغبي إلا أن بغبي المرء يصرعه
 يوماً ويمنعه من حيث يطمعه
 بالكرخ من فلك الأزرار مطلعته
 صفو الحياة وانسي لا أودعه
 وللضرورات حال لا تشفعه
 وادمعي مستهلات وأدمعه
 عني بفرقته لكن أرقعه
 بالبين عنه وقلبي لا يوسعه
 كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
 شكر الإله فغنه الله ينزعه
 كأساً أجرع منها ما أجرعه
 الذنب والله ذنبي لست أدفعه
 لو أنني يوم بان الرشد أتبعه
 بحسرة منه في قلبي تقطعه
 بلوعة منه ليلي لست أهجعه
 لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
 به ولا أن بي الأيام تفجعه
 عسراء تمنعني حظي وتمنعه
 آثاره وعفت مذ غبت أربعه
 أم الليالي التي أمضته ترجعه
 وجاد غيث على مغداك يبرعه
 كما له عهد صدق لا أضيعه
 جرى على قلبه ذكري يصدعه
 به ولا بي في حال يمتعه
 واضيق الأمران فكرت أوسعه
 جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه
 فما الذي بقضاء الله يصنعه

١٢ لكنهم ملئوا حرصاً فلست ترى
 ١٣ والسعي في الرزق والأرزاق قد قسمت
 ١٤ والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه
 ١٥ استودع الله في بغداد لي قمراً
 ١٦ ودعته وبودي لو يودعني
 ١٧ وكم تشقّع انسي لا أفارقه
 ١٨ وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحي
 ١٩ لا أكذب الله ثوب العذر منخرق
 ٢٠ إنني أوسع عذري في جنائته
 ٢١ أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته
 ٢٢ ومن غدا لا بساً ثوب النعيم بلا
 ٢٣ اعتضت عن وجه خلي بعد فرقة
 ٢٤ كم قائل لي ذنب البين قلت له
 ٢٥ هلا أقمت فكان الرشد أجمعه
 ٢٦ إنني لأقطع أيامي وأنفذاها
 ٢٧ بمن إذا هجع النوام بت له
 ٢٨ لا يطمئن لجنبي مضجع وكذا
 ٢٩ ما كنت أحسب أن الدهر يفجعني
 ٣٠ حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد
 ٣١ بالله يا منزل القصف الذي دورست
 ٣٢ هل الزمان معيد فيك لذتنا
 ٣٣ في ذمة الله من أصبحت منزله
 ٣٤ من عنده لي عهد لا يضيعه
 ٣٥ ومن يصدع قلبي ذكره وإذا
 ٣٦ لأصبرن لدهر لا يمتعني
 ٣٧ علماً بان اصطباري معقب فرجا
 ٣٨ عبل الليالي التي أضنت بفرقتنا
 ٣٩ وإن تمل أحدا منا منيته

المبحث الأول :- البناء الشكلي للقصيد

في هذا المبحث نحاول دراسة البناء الشكلي للقصيد من خلال مطلبين هما موضوع القصيد وصدق الشاعر في التعامل معه ، وحسن ابتدائها وانتهائها.

المطلب الأول :- موضوع القصيد وصدق الشاعر

بنيت واحدة ابن زريق على عدة موضوعات منها العتاب الممزوج بالغزل العذري والشكوى والحكمة ، إلا أن موضوعها الأساس كان الشكوى.

إن نظرة أولية لهذه القصيد تبرز بوضوح صدق الشاعر في تعامله مع موضوعها ، مثلما تمثل صدقه في عرض أفكاره وصدقته في التعبير عن مشاعره ، فحاول الشاعر أن يصور لنا آلامه وعشقه لمحبوته ، مبرزاً

حالته العاطفية ومشاعره الوجدانية من خلال الكلمات، فالصدق ((لا يعني النقل الحرفي للواقع المادي، بل هو التعبير عن حقيقة الانفعال الذي ينفع به الإنسان إمام هذا الواقع في تجربته الحيوية، لان الفن هو الحقيقة الإنسانية مصورة خلال نفسية الفنان.....)).^(١٠)

ولهذا نلاحظ أن ابن زريق البغدادي عبر في واحدته بإخلاص عما يعتمل في نفسه من مشاعر والآم، وأخذ يرسم لنا بكلماته ما عاناه من عسر الحال وتجربته مع محبته فأبان لنا خبرته وفهمه للحياة والناس.

الطلب الثاني : حسن الابتداء والختام.

أول ما يقابلنا في واحدة ابن زريق ما يسمى تقديماً بالمطلع والمفتتح، وبراعة الاستهلال، ولقد اهتم العرب بهذا الجانب لأنه أول ما يقع في السمع، وهم صادقون في هذا لأن القصيدة عندهم كانت تنظم لتشهد، ومن هنا كان لا بد من مراعاة (المتلقي) ولهذا طلبوا من الشاعر أن يحترس في مطلع قصيدته الذي سماه البلاغيون، (حسن الابتداءات)^(١١)، وسماه بعضهم (براعة الاستهلال)^(١٢)، وقال في تعريفه شهاب الدين الحلبي : هو ((أن يأتي الناظم، أو الناثر في ابتداء كلامه بينه، أو قرينة تدل على مراده في القصيدة، أو الرسالة.....))^(١٣)

ولقد اهتم ابن زريق بمطلع واحدته وركز عليه تركيزاً واضحاً، فقد ابتدأ قصيدته بغزل ممزوج بعتاب الحبيبة، فهذا الحوار المتعل من قبل العاذلة الذي أقامه الشاعر مع محبوبته هو من ألد ما تتوق النفس إلى الاستماع إليه، ويجعلها في شوق إلى معرفة ما دار بينهما من كلام من خلال هذا العتاب الرقيق، فعمد ابن زريق إلى أن يطرق أسماع المتلقي بهذا العتاب الذي سار فيه على نهج القدمات في بنية القصيدة من مقدمة ورحلة وغرض اساس، وعد هذا الافتتاح مفتاحاً للحدث الشعري؛ فقال :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حداً أضربه من حيث قدرت إن اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلاً من عنفه فهو مضنى القلب موجه

وبعد هذه المقدمة أشار الشاعر بتدرج إلى وضعه المادي وفقره وأنه من أجل ذلك طلب الرزق في غير مكان ونشد العيش ضارباً في الآفاق.

فقال :

ما أب من سفر إلا وأزعجه رأى إلى سفرٍ بالعزم يجمعه

ثم ضمن الشاعر قصيدته أبياتاً من الحكمة تشير إلى ما عاناه الشاعر في حياته من مصاعب والآم وحرمان، مثل قوله :

وما مجاهدة الإنسان توصله زرقاً ولادعة الإنسان تقطعه
والله قسم بين الخلق رزقهم لم يخلق الله مخلوقاً يضيعه
لكنهم ملئوا حرصاً فلست ترى مسترزقاً وسوى الغايات يقنعه

(١٠) في النقد الأدبي الحديث، منطقات وتطبيقات: د. فائق مصطفى و د. عبد الرضا علي، ط ٢، دار الكتب والنشر، جامعة

الموصل، ٢٠٠٠م: ص ١٦.

(١١) ينظر البديع : عبد الله ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)، تحقيق أغناطيوس كرتشكوفسكي، منشورات دار الحكمة، دمشق، (د.ت) و

حسن التوسل إلى صناعة الترسل : شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥ هـ)، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، بغداد

١٩٨٠م، ص ٢٥٠.

(١٢) ينظر تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : أبو محمد زكي الدين المصري المعروف بابن ذي الأصبغ

(ت ٦٥٤ هـ) تحقيق: د. حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٣٨٣ هـ، ١/١٦٨.

(١٣) حسن التوسل إلى صناعة الترسل : ٢٥٠.

والسعي في الرزق، والأرزاق قد قسمت
والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه
بغبي إلا أن بغبي المرء يصرعهُ
يوماً ويمنع من حيث يطمعه

ثم ختم الشاعر قصيدته بأداة الترجي (لعل) التي تفيد توقع الممكن^(١٤) فقال : -

علّ الليالي التي أضنت بفرقتنا
وإن تنل أحداً منا منيته
جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه
فما الذي بقضاء الله يصنعه

ولا يخفى حسن ما اختتم به شاعرنا قصيدته فقد ختمها برجاء لقاء محبوبته، ثم أسلم أمره إلى الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني :- دراسة اللغة الشعرية.

في هذا المبحث نسلط الضوء على اللغة الشعرية للشاعر وذلك من خلال ثلاثة مستويات هي : المستوى الصوتي والمستوى اللفظي والمستوى التركيبي

١- المستوى الصوتي

يمكننا أن ندرس القيم الصوتية للألفاظ ودلالاتها الإيحائية النفسية في القصيدة من طريقتين هما : -

أولاً :- الموسيقى الداخلية :

ونعني بها جرس اللفظة المفردة و وقعها على السمع، الناشئ من تأليف أصوات حروفها و حركاتها، ومدى توافق هذا الإيقاع الداخلي مع الدلالة اللفظية.

إن لجرس اللفظة و واقع تأليف أصوات حروفها على الأذن دوراً هاماً في إثارة الإفعال المناسب فالإيقاع الداخلي للألفاظ والجو الموسيقي الذي يحدثه عند النطق بها، يعد من أهم المنبهات المثيرة للانفعالات المناسبة، كما أنه له إحاء نفسياً خاصاً في مخيلة المتلقي و المتكلم على السواء، فالعلاقة وطيدة بين الجو الموسيقي الذي يشيعه جرس اللفظة وإيقاعها، وبين حسن اللفظة للمفردة و قبحها و من هنا فقد وصف البلاغيون و النقاد العرب اللفظة ذات الجرس الكريه على السمع بالغبثاءة و الاستكراه، و ذات الجرس المحبب بالسلاسة و العذوبة و الرونق^(١٥). وذلك لان الألفاظ في الأسماع كالصور في الأبصار^(١٦). لأنها تجري من السمع مجرى الألوان من البصر^(١٧).

فالذي يستلذه السمع منها و يميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه و ينفّر عنها هو القبيح^(١٨).

وهناك مجموعة من العوامل تداخلت مع بعضها البعض و أثرت تأثيراً مباشراً في جمال الجرس الموسيقي للألفاظ و تفاعل النفس معه و يمكننا أن نجمل تلك العوامل بما يأتي :

١ - بما أن الحروف تمثل أصواتاً لغوية، لذلك فإنها ذات طبيعة نغمية خاصة بكل حرف منها، و من الطبيعي على هذا الأساس إن القارئ لقصيدة ابن زريق البغدادي يجد أن هناك انسجاماً مع بعض الحروف دون بعض، بالنظر لتلك الطبيعة النغمية الخاصة، فالأذن ((تشوق للصوت الخفيض الساكن و تتأذى بالجهير الهائل))^(١٩)، وذلك بصرف النظر عن قرب أو بعد مخارج أصوات الحروف التي تتألف منها اللفظة

(١٤) ينظر معجم المصطلحات البلاغية و تطورها: د.احمد مطلوب ٣٠٠.

(١٥) ينظر عيار الشعر : لأبن طباطبا العلوي ٤٠، ٤٩، ٧٦.

(١٦) العمدة : لابن رشيق ١ / ١٤٨.

(١٧) سر الفصاحة : لابن سنان الخفاجي ٦٦.

(١٨) المثل السائر : لابن الاثير ١ / ١١٤.

(١٩) عيار الشعر : ابن طباطبا العلوي ١٤.

الواحدة، فإن بعض الحروف وإن دخلت بناء لفظة حسنته كالحروف الشجرية وهي (ج، ش، ض. ي) (٢٠). مثل: (جاوزت، تجشمه، مضنى، تأنيبه).

٢ - لما كان لكل صوت من أصوات الحروف طبيعته النغمية الخاصة به، فمن الطبيعي والحالة هذه، أن ينسجم مع بعض الأصوات دون بعضها، لذا نلاحظ إن اغلب حروف اللفظة الواحدة، روعي فيها انسجام أصوات حروفها، وكان بناؤها على هذا الأساس.

٣ - لما كانت الحركات (الفتحة والضم والكسرة) جزءاً من أصوات حروف المد وهي (الألف و الواو والياء) فهي تحمل طبيعة نغمية خاصة بها أيضاً، ولهذا كان لها دور فعال في تحسين جرس اللفظة في السمع ولكن لا على أساس أن بعضها خفيف كالفتحة والكسرة، فإذا دخل بناء لفظة زاده حسناً، وأن بعضها ثقيل كالضمة فإذا دخل بناءً شأنه وبغضه لدى السمع والنفس معاً، وإنما يعود إلى الطبيعة النغمية الخاصة لكل من الحرف والحركة معاً من جهة، وإلى وزن اللفظة وإيقاعها من جهة أخرى، وذلك لأن بعض الحروف، لطبيعته النغمية الخاصة، يكون أكثر انسجاماً مع بعض الحركات دون بعض، بصرف النظر عن خفتها أو ثقلها، ففي قول ابن زريق:

((استودع الله في بغداد لي قمراً)) وقولة ((ودعته وبودي لم يودعني)) فتوالي حركة الضم في الألفاظ ((استودع، ودعته)) لم تحدث فيها ثقلاً أو كراهية بل زادت هما جمالاً وتقبلاً وتأثيراً في النفس عن طريق حاسة السمع، وما ذلك إلا للانسجام الحاصل بين الطبيعة النغمية لكل حرف مع الأتي لآخر من جهة وبينها وبين الطبيعة النغمية الخاصة لكل كلمة من جهة أخرى

الدلالة الإيحائية لموسيقى اللفظة الداخلية: -

إن الدلالة الإيحائية النفسية للإيقاع الموسيقي للألفاظ، بوصفها صوراً ذهنية سمعية تعد من المنبهات الهامة في إثارة الانفعال المناسب في نفس الملتقي فضلاً عن دلالتها المعنوية الخاصة بكل لفظة، ذات دلالة إيحائية تشبع في النفس جواً تخيلياً خاصاً ينسجم مع إيقاعات موسيقاها الداخلية وأنغامها. (٢١) حتى إن بإمكان الذهن أحياناً أن ينتقل إلى الدلالة المعنوية الوضعية الخاصة للفظة، أو إلى ما يقرب منها، لمجرد سماع جرسها وإيقاعها، وإن لم يكن له علم مسبق بها. (٢٢) لا سيما الألفاظ التي تدل على معانيها بأصواتها، وينقل لنا السيوطي أن أحدهم كان يدعي معرفة دلالة الألفاظ على معانيها من وقع جرسها ((فسئل ما مسمى إذغاغ وهو بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيه ييساً شديداً وأراه الحجر)). (٢٣)

ولقد استطاع شاعرنا ابن زريق البغدادي، أن يستخدم ألفاظاً تثير في نفس الملتقي الانفعال المناسب، لما تدل عليه من شكوى، ولوعة ظاهرين، ومن هذه الألفاظ ((العذل، لومه، الرفق، لوعة)) الخ. ومن هنا فإن جرس أية لفظة (موسيقاها الداخلية) يحدث صورة إيحائية في نفس الملتقي، تختلف باختلاف طبيعة هذا الجرس، ما دامت الألفاظ تجري من السمع مجرى الصور من البصر، ((فالالفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة، ولين أخلاق، ولطافة مزاج)). (٢٤)

وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نشبه ألفاظ ابن زريق، بأهات المفجوع إذ انه كان دقيقاً في استعمال الألفاظ، ذات الجرس الناعم الهادئ، وهذه الدقة في مراعاة جرس ألفاظه، تماشيت، وانسجمت مع الجو

(٢٠) ينظر المثل السائر: لابن الاثير ١/١٢٥.

(٢١) ينظر دلالة الالفاظ: د. ابراهيم انيس، ٧٥.

(٢٢) ينظر المصدر السابق: ٧٥.

(٢٣) المزهر: للسيوطي ١/٤٧.

(٢٤) المثل السائر: ابن الاثير ١/١٧٦.

النفسي الذي أراد أن يشيعه، والصور الإيحائية التي أراد رسمها، وتحليلها للمتلقي لأن الجرس الداخلي لألفاظه، يوحي لنفس المتلقي تخيل صور ذهنية تناسب إيقاعه، ويشيع فيها جواً نفسياً، يوحي بالشكوى والحرمان والقهر الاجتماعي.

ثانياً: الموسيقى الخارجية :-

ويقصد بها الموسيقى التي تتألف من ارتباط الألفاظ مع بعضها البعض في العمل الأدبي، وتشكل الإيقاع العام للجملة أو البيت أو المقطوعة، ومدى توافق هذا الإيقاع مع الدلالة الإيحائية النفسية التي يتضمنها، ولهذا الموسيقى أثر كبير في فعالية العمل الأدبي، وفي رفع قدرته على التأثير والتأثر، ومن هنا فإن الوزن في الشعر من أهم مقوماته ومن أرسى دعائمه التي يستند إليها، وبحكم الإيقاع ألقولي العام (الموسيقى الخارجية) في الأدب العربي قانونا التوازن والتوازي، وذلك بحكم طبيعة نفس الإنسان العربي.^(٢٥)

ويقصد بالتوازن: تعادل شطري البيت من الشعر من حيث الإيقاع والوزن، وأما التوازي: فيقصد به استمرار هذا التوازن في العمل الأدبي شعراً كان أم نثراً إلى نهايته^(٢٦). فنلاحظ مثلاً في قصيدة ابن زريق :-

لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حداً أضربه من حيث قدرت أن اللوم ينفعه

إلى آخر قصيدته، وقد جاءت من البحر البسيط، وهو بحر غزير الموسيقى يجود في كل ماله صلة بالعاطفة والشجن، ف(هذا البحر من البحور الطويلة التي يعمد إليها الشعراء في الموضوعات الجدية ويمتاز بجزالة موسيقاه ودقة إيقاعه)^(٢٧)، هذا يعني أن شطري كل بيت من أبياتها متوازيان من حيث الإيقاع، وان هذا التوازن متوازٍ، أي إنه مستمر في أبيات القصيدة من بدايتها حتى نهايتها.

ويتضح لنا من خلال الدراسة الإيقاعية للموسيقى الخارجية ان الشاعر أكثر من زحاف الخبن وهو حذف الثاني الساكن من (مستفعلن) فتتحول الى (مفاعلن) وكذلك حذف الثاني الساكن من تفعيلة (فاعلن) فتحوّل الى (فعلن) وهو زحاف سائغ مستحسن^(٢٨)

ونرى إن هناك زيادة مطردة في استخدام هذا الزحاف في تفعيلتي البسيط في حالة اضطراب انفعال الشاعر وشدته، مما يدل على وجود صلة وثقى بين الإيقاع الشعري والحالة النفسية التي تنتاب الشاعر أثناء القول الشعري.^(٢٩) مثل قوله:

كأنما هو من حل ومرتحل موكل بفضاء الله يذرعه
وكم تشقّع اني لا أفارقه وللضرورات حال لا تشفعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد عسراء تمنعني حظي وتمنعه

الذي يبدو لنا إن الشاعر عمد إلى التصريع في مطلع قصيدته لانه أول ما يقرع اذان المتلقي فهذا التصريع في الشطر الأول والشطر الثاني من القصيدة كلها، عد مفايح صوتية ساعدت الشاعر على خلق المضمون، والجو النفسي الذي تعرضت له القصيدة. فهذا الإيقاع العام المتوازن والمتوازي في القصيدة مع القافية التي

(٢٥) ينظر الأسس الجمالية في النقد العربي / د. عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي ١٩٧٤ م، ٢٧٢.

(٢٦) ينظر المرجع السابق: ١٨٨١٩٨.

(٢٧) المعجم الفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر: د اميل بديع يعقوب ٧٤.

(٢٨) ينظر المرجع السابق: ٧٣.

(٢٩) ينظر بهذا الخصوص موسيقى الشعر: ابراهيم أنيس ١٧٥ ومابعدها

تعد الركيزة النغمية والمتكأ الصوتي صارا يعملان سوية على مساعدة التخيل الشعري في أداء دوره المناسب في التأثير والتأثر، وذلك لأن الإيقاع المتوازن المنسجم شد النفس اليه وشوقها، لأنه خلق جوا نفسيا موسيقيا انسابت معه النفس، وشعرت معه بالحزن لما مر به الشاعر.

٢- المستوى اللفظي

لا بد لنا - عند دراستنا لواحدة ابن زريق البغدادي - أن نقف عند ألفاظ الشاعر التي استعملها، لما لهذه الألفاظ من أهمية في تشكيل التراكيب المفضية إلى تشكيل الدلالة.

فلنتأمل لألفاظ ابن زريق البغدادي يجدها ألفاظا سهلة، بعيدة عن الغموض والغرابية، مع ابتعادها عن الابتذال والركاكة، يقول الدكتور محمد مندور: ((الألفاظ المألوفة ولا أقول المبتذلة؛ هي التي تستطيع في الغالب أن تستنفذ إحساس الشاعر، كما إنها أقدر من الألفاظ المهجورة على دفع مشاعرنا إلى التداعي، وقد كثر استعمالنا لها في الحياة، فتحدت معانيها، وتلونت بلون نفوسنا، فحملت شحنة عاطفية))^(٣٠) والملاحظ أن ألفاظ ابن زريق البغدادي قد انطوت على صفة التجانس بين اللفظ والمعنى، فقد كانت الألفاظ رقيقة في موضع الرقة مثل: (العدل، الرفق، لذتنا، يمتعني..... الخ) بينما كانت قوية في موضع الشكوى والحكمة مثل (لوعة، أزعجه، مجاهدة، يصرعه، تفجعه،..... الخ).

وهذا التوافق أشار إليه القدماء؛ وهو ما أكده بشر بن المعتمر (ت ٥٢١٠هـ) في صحيفته المشهورة والتي نقل لنا الجاحظ (ت ٥٢٥٥هـ) أجزاء منها في كتابه البيان والتبيين، إذ قال: ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))^(٣١)

وأيضاً أشار إلى هذا المعنى ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٨) بقوله: ((وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن في بعض وتقبح في غيرها، فهي كالمعرض للجارية الحسناء، التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض.....)).^(٣٢)

والملاحظ إن ابن زريق قد التفت إلى هذه المسألة، وكان يُعنى باختيار الفاظ على وفق ما تقتضيه دلالاتها، وبما يتلاءم مع المعاني المتولدة عنها، فكان يختار أكثر الصيغ إيحاء بالمعنى، واقدرها على إيصال محتوى النص إلى نفوس سامعيه، وذلك متحقق في أكثر من موضع من مواضع القصيدة، من ذلك على سبيل المثال، استعماله للفظ يولعه^(٣٣)، وهو مضارع الفعل ولع بالشيء فهو مولع به إي مغري به^(٣٤). لما لهذه اللفظة من إيحاء بشدة الحب، مما لا يتحقق معه استعمال لفظ آخر مثل ((يزيده حبا)) وكذلك استعماله لفظ (بان) في قوله: -

هلا أمت فكان الرشد أجمعه - لو أنني يوم بان الرشد أتبعه

بينما استعمل لفظ (بنت) في قوله: -

لا يطمئن لجنبي مضجع وكذا لا يطمئن له مذ بنت مضجعه

(٣٠) في الميزان الجديد: د. محمد مندور، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ٧٨.

(٣١) البيان والتبيين: الجاحظ ١/١٣٨-١٣٩.

(٣٢) عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، ٨.

(٣٣) ينظر البيت رقم واحد.

(٣٤) ينظر مختار الصحاح: للرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م، (ولع)، ٧٣٥.

فبان الشيء بيبين بياناً إذا اتضح فهو بين^(٣٥)

أما لفظ (بنت)، فالبين هو الفراق، وقد يأتي بمعنى الوصل لذا فهو من الأضداد.^(٣٦)
كما اننا نلاحظ ان البيت الشعري السابق والذي بعده في تناص مع الشاعر ابي ذؤيب الهذلي في عينيته المشهورة حيث يقول^(٣٧):

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا ألا أقض عليك ذاك المضجع

فالشاعر قد أخذ هذا المعنى مع الالفاظ من ابي ذؤيب الهذلي، فهي ليست من إبداع الشاعر وكذلك استعماله للفظ (خطوب)، بصيغة جمع التكسير في قوله: -

قد كان مضطلعاً بالخطب يحمله فضيقت بخطوب السنين أضلعه

فصيغة جمع التكسير (خطوب) قد جاءت على زنة (فُعول) وهي واحدة من صيغ جموع الكثرة.^(٣٨)
وكان الشاعر قصد هذه الصيغة ليدل على كثرة الأمور الجليلة والمحزنة التي مر بها.

وأيضاً نلاحظ إن ابن زريق أكثر من استخدام المشتقات في واحده مثل: -
أ - اسم الفاعل^(٣٩) نحو: مضطلعاً على وزن مفعّل، ومستزقاً على وزن مستفعل، وقائل على وزن فاعل، ولايساً على وزن مفعّل، وغير ذلك.
ب - اسم المفعول^(٤٠)؛ نحو: مضنى على وزن مفعّل، ومخلوق على وزن مفعول، مغدك على وزن مفعّل.

ج - المصدر^(٤١)؛ العذل، حقاً، حداً، بدلاً، مجاهدة، حرصاً، ملكاً.
والمشتقات نوع من أنواع الوصف، وهذا الوصف يكون عارضاً، يطرأ ثم يزول بعد وقت؛ قد يطول أو يقصر من دون أن يتحقق له دوام أو ثبات^(٤٢).
وكذلك استعمال الشاعر حروف الزيادة كقوله: استعملي، مضطلعاً، مستزقاً، استودع وغير ذلك مما ورد في القصيدة.

وكذلك استعمل ابن زريق التضعيف كقوله: قدّرت، تحشّمه، تشفع، تشبّت، ودّعته، يصدّع. وهذا كله يشعرنا إن ابن زريق ملم باللغة العربية عارف بدلالة الصيغ الصرفية التي تأتي عليها المفردة، لما لهذا الأمر من أهمية في تشكيل التراكيب المفضية إلى تحقيق الدلالة.

٣- المستوى التركيبي :-

مثلت واحدة ابن زريق بناءً لغوياً رائعاً، تتمتع بتوظيف إمكانات الشاعر واستثمار طاقاته اللغوية، من خلال إبداعه في تصوير المواقف والمعاناة التي مر بها، وسنحاول في هذا المبحث إن شاء الله تعالى - أن

(٣٥) ينظر مختار الصحاح (بين) ٧٢.

(٣٦) ينظر المصدر السابق (بين) ٧٢.

(٣٧) ديوان ابي ذؤيب الهذلي: ١٤٠.

(٣٨) ينظر شذا العرف في فن الصرف: احمد بن محمد الحملاوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت) ١٠٠.

(٣٩) ينظر الصرف الواضح: عبد الجبار النائلة، ط ٢، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨: ١٤٨- ١٦٢. والمهذب في علم التصريف: د. هاشم طه شلاش، د. صلاح مهدي الفرطوسي، د. عبد الجليل عبيد حسين، ط ٣، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩: ٢٥٢- ٢٥٩.

(٤٠) ينظر الصرف الواضح: ١٦٣- ١٧٦، والمهذب في علم التصريف: ٢٦٦- ٢٧٤.

(٤١) ينظر شذا العرف في فن الصرف: ٦٦- ٧٠.

(٤٢) ينظر الوافي في النحو والصرف: د. حبيب مغنية ٥٨٠.

نسلط الضوء على بناء الجملة في قصيدته، وما يترتب عليها من دلالات أسهمت في إغناء النص بالمعاني المؤثرة.

فالنظر لتراكيب هذه القصيدة، يلحظ - بوضوح - هيمنة النظام الفعلي على أحداثها، وهي هيمنة ابتغى الشاعر من خلالها خلق أجواء الحركة بين مفاصل القصيدة، مما أسهم في تعميق المعنى، وأضفى الأثر الحسي والمعنوي عليها، إذ تشتمل القصيدة على (١٠٣) جملة فعلية، جاء منها (٣٩) جملة بصيغة الماضي، و (٦٣) جملة بصيغة المضارع، وجملة واحدة بصيغة الأمر.

أما عدد الجمل الاسمية فكان (٤٠) جملة، ولما كانت الجمل الاسمية تضيء على النص صفة الثبوت والدوام، وأن الجمل الفعلية تضيء على النص صفة التغير والتنقل^(٤٣). لذا فإن اعتماد الشاعر على الإكثار من استخدام الجمل الفعلية في واحدته رجح كفة الحركة فيها، مما أسهم في زيادة نشاط وفعالية الحركة بين أجزائها، ومن ثم تعميق معانيها فني قوله مثلاً : -

مَأَبٍ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجَهُ رَأَى إِلَى سَيْفٍ بِالْعَزْمِ يَجْمَعُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ حِلٍّ وَمَرْتَحِلٍ مَوْكَلٌ بِفَضَاءِ اللَّهِ يَذْرَعُهُ

ف نجد أن التعبير بالأسلوب الفعلي ؛ وما يتولد عنه من معنى، قد منح البيتين مزيداً من الحيوية والحركة، متمثلاً باستمرار معاناة الشاعر، ورحلته في طلب الرزق، وهذا المعنى - ربما - لا يحققه أسلوب التعبير بالجملة الاسمية.

والملاحظ أيضاً إن الشاعر استعمل بعض المقومات البنائية ؛ التي أسهمت في تعميق المعاني التي أنتجها النص، من ذلك أولاً : - التكرار : ((وهو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أم مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يعيده)).^(٤٤) فالشاعر لجأ لهذا الأسلوب لتأكيد المعاناة الصعبة التي احاطت به، والذي يبدو لنا أنه لجأ لهذا الأسلوب للعناية بهذا الأمر وإظهاره^(٤٥).

ومن مظاهر التكرار التي وردت في القصيدة ما يأتي : -

أ - التكرار للأفعال المضارعة المختومة بالهاء : إذ تكرر انتهاء أبيات القصيدة، بالأفعال المضارعة المختومة بالهاء للقصيدة كلها، مثل : - يسمعه، ينفعه، يروعه، يجمعه، يذره..... الخ.

فالشاعر يميل إلى استعمال الأفعال المضارعة أكثر من استعمال الأفعال الماضية كما اشرنا إلى ذلك سابقاً ، ودلالة هذا الاستعمال تتمثل في إضفاء الحركة والحياة، والتجديد والاستمرارية في أحداث القصيدة.

ب - تكرار المصادر (الأسماء المنصوبة) : - إذ تكرر ذلك في أكثر أبيات القصيدة نحو ما جاء في البيت الثاني كلمة (حدا) وفي البيت الثالث كلمة (بدلاً) وفي البيت الرابع كلمة (مضطلاً)، وغير ذلك.

ج - تكرار التوكيد بالحرف : إذ تكرر التوكيد بحرفي التوكيد (إن أن) في أكثر أبيات القصيدة نحو ما جاء في البيت الأول : (فإن العذل) وما جاء في البيت الثاني، (أن اللوم) وغير ذلك من الأبيات المذكور فيها إن، وأن.

وأيضاً تكرر حرف العين (القافية) إذ وفر إيقاعاً داخلياً، ساهم في تشكيل الإيقاع العام للقصيدة، إذ شكل تكرار قافية العين بناءً أفصح عن رغبة الشاعر في التعبير عن مكنونات نفسه ومعاناتها، إذ أن صوت (العين) من الأصوات الحلقية، الرخوة، المجهورة، الاحتكاكية، الصامتة.^(٤٦) مما حقق تناغم هذا الصوت مع

(٤٣) ينظر التعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرائي ٢٢.

(٤٤) البلاغة والتطبيق : د. أحمد مطلوب، د. حسن البصير، ط ٢، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٩٩م : ٢٠٦.

(٤٥) ينظر فقه اللغة وسر العربية : للعلابي ٤١٦.

(٤٦) ينظر مخارج الحروف وصفاتها : لابن الطحان ٨٨، وسر صناعة الاعراب : لابن جني ٢٤١، والتمهيد في علم التجويد : لابن

طبيعة النفس التواقة للتعبير عن أحاسيسها وشكواها، وهذا التوظيف الصوتي _لَعَلَهُ_ - نابع من طبيعة الشعر الذي يستعمل تآلف الأصوات لخلق تأثيرات موسيقية تسهم في كشف إبعاد النص ومناسبة الشكل للمضمون.

د - تكرر الجمل الاسمية: إذ تكرر استخدام الجمل الاسمية في العديد من الأبيات منها البيت الثالث، (فهو مضمي) والبيت الثامن، (وهو يزعمه) والبيت الثامن عشر (أدمعي مستهلات) والبيت الثاني والثلاثون (الزمان معيد) وغير ذلك، ولعل تكرر الشاعر للجمل الاسمية شكلاً دلالة على استقرار الحزن وبناته في نفس الشاعر.

ومن كل ما تقدم نلاحظ إن اللغة خدمت الشاعر في كل ما ذهب إليه من وجوه التكرار، فهناك الصور المتحركة التي ساعد على تصويرها تكرر الفعل المضارع، وهناك التكرار للجمل الاسمية التي شكلت دلالة على استقرار الحزن وبناته في نفس الشاعر. وحتى تكرر الشاعر للحروف كان استخداماً ذكياً لا سيما تكرر قافية العين التي شكلت الإيقاع العام للقصيدة التي عبرت عن معاناة الشاعر المتكررة.

ثانياً: - تقديم الخبر على المبتدأ بكثرة من أجل التوكيد والاهتمام بالمقدم، ومن أمثلة ذلك ما جاء في البيت الخامس؛ (أن له من النوى كل يوم ما يروعه)، والبيت السابع عشر: (وللضرورات حال) والبيت الثاني والعشرين: (فعنه الله ينزعه)، والبيت التاسع والعشرين: (ولأن بي الأيام فجعجه) والبيت الرابع والثلاثين:

مَنْ عِنْدَهُ لِي عَهْدٌ لَا يَضِيعُ كَمَا لَهْ عَهْدٌ صَدَقَ لَا أَضِيعُ

ثالثاً: - الحذف: - لجأ ابن زريق البغدادي إلى حذف بعض البنى التركيبية من النص، تحقيقاً للإيجاز، ورغبة في التخفيف علاوة على ما يقتضيه إقامة الوزن، مع عدم الإخلال بالمعنى والفهم للعبارة، عند وجود ما يدل عليه دليل، من قرينة لفظية أو معنوية.^(٤٧)

ومن الحالات التي استعمل الشاعر فيها الحذف ما يأتي: -

أ - حذف الخبر؛ نحو قول الشاعر في البيت الثامن عشر: -

وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى وادمعي مستهلات وأدمعاً

اذ حذف الشاعر الخبر والتقدير: وادمعه مستهلات.

ب - حذف الفاعل؛ نحو قول الشاعر في البيت الحادي والعشرين: -

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

إذ حذف الشاعر الفاعل والتقدير: يخلعه الملك.

رابعاً: - الطباق: شكل الطباق ظاهرة مميزة في هذه القصيدة؛ و الطباق هو الجمع بين الضدين في كلام أو بيت شعر؛ كالإيراد والإصدار والليل والنهار، والبياض والسواد^(٤٨) ومن أمثلة ذلك ما جاء في البيت الثالث: -

فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا عن عنفه فهو مضمي القلب موجعة

فطابق الشاعر بين الرفق والعنف.

وفي البيت الرابع عشر: -

(٤٧) ينظر التراكيب النحوية: د. هادي النهر، ط ١، اليازودي العلمية، عمان: ١٣٥٠.

(٤٨) ينظر خزنة الادب وغاية الارب: ابن حجة الحمودي، القاهرة، ١٣٠٤: ٦٥.

والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه يوماً ويمنعه من حيث يطمعه

فالطباقي بين قوله يعطي، ويمنع.

وفي البيت الثاني والعشرين : -

ومن غدا لا بساً ثوب النعيم بلا شكر الإله فعنه الله ينزعه

فالطباقي بين قوله لا بساً وينزع.

ومما تقدم تبين لنا أن للطباقي تأثيره الخاص المتميز وتجلى هذا التأثير فيما جمعه الشاعر بين الأضداد مما خلق صوراً ذهنية ونفسية متعاكسة ومتنافرة، فتركت في الشعور آثاراً عميقة بأسلوبها الأخاذ.

الخاتمة :-

في نهاية دراستنا لواحدة ابن زريق، لا بد لنا ان نقف لنسجل ابرز النتائج التي توصلنا اليها في دراستنا لهذه القصيدة : -

١ - وجود قصيدة واحدة فريدة، رائعة رائعة الصياغة والتركيب لشاعر بغداد المعدم، علي بن زريق البغدادي، الذي انتقل الى الاندلس وتوفي فيها سنة (٤٢٠هـ)

٢ - بنيت واحدة ابن زريق على عدة موضوعات، منها العتاب الممزوج بالغزل والشكوى والحكمة، إلا أن موضوعها الأساس كان الشكوى.

٣ - الناظر لهذه القصيدة، يلاحظ بوضوح صدق الشاعر في تعامله مع موضوعها، مثلما تمثل صدقه في عرض أفكاره، وصدقه في التعبير عن مشاعره، فحاول الشاعر أن يصور لنا آلامه وعشقه لمحبوته، ميرزا حالته العاطفية ومشاعره الوجدانية، وما عاناه من عسر في الحال من خلال الكلمات.

٤ - اهتم ابن زريق بمطلع واحده، وركز عليه تركيزاً واضحاً، فقد ابتداء قصيدته، بغزل ممزوج بعتاب الحبيبة، فهذا الحوار الذي أقامه الشاعر مع محبوبته، هو من أذ ما تنوق النفس إلى الاستماع إليه، ويجعلها في شوق إلى معرفة ما دار بينهما من كلام، من خلال هذا العتاب الرقيق، فعمد ابن زريق إلى إن يطرق إسماع المتلقي بهذا العتاب.

٥ - في المستوى الصوتي لاحظنا أن أغلب حروف اللفظة الواحدة، روعي فيها انسجام أصوات حروفها، وكان بناؤها على هذا الأساس.

٦ - لما كانت حركات جزءاً من أصوات حروف المد، وهي (الألف والواو والياء)، كان لها دور فعال في تحسين اللفظة في السمع.

٧ - إن ابن زريق كان دقيقاً في استعمال الألفاظ ذات الجرس الناعم، الهادئ، وهذه الدقة في مراعات جرس ألفاظه تماشت وانسجمت مع الجو النفسي الذي أراد أن يشيعه، والصور الإيحائية التي أراد رسمها وتخيّلها للمتلقي، لأن الجرس الداخلي لألفاظه، يوحي لنفس المتلقي تخيل صور ذهنية تناسب إيقاعه، ويشيع فيها جواً نفسياً، يوحي بالشكوى والحرمان وصعوبة الظروف.

٨ - إن التصريح في الشطر الأول، والشطر الثاني من القصيدة كلها، عدّ مفاتيح صوتية، ساعدت الشاعر على خلق المضمون، والجو النفسي الذي تعرضت له القصيدة، فهذا الإيقاع العام المتوازن والمتوازي في القصيدة مع القافية، التي تعد الركييزة النغمية والمتكأ الصوتي، عملاً سوية على مساعدة التخييل الشعري في أداء دوره المناسب في التأثير والتأثر، وذلك لان الإيقاع المتوازن المنسجم، شد النفس إليه، وشوقها، لأنه خلق جواً نفسياً وموسيقياً انسابت معه النفس، وشعرت معه بالحزن لما مر به الشاعر.

- ٩ - المتأمل لألفاظ ابن زريق البغدادي، يجدها ألفاظاً سهلة، بعيدة عن الغموض والغرابية، مع ابتعادها عن الابتذال والركاكة، كما أنها انطوت على صفة التجانس بين اللفظ والمعنى، فقد كانت رقيقة في موضع الرقة، قوية في موضع الشكوي والحكمة.
- ١٠ - يبدو إن ابن زريق كان مطلعاً على علوم اللغة العربية، عارفاً بدلالة الصيغ الصرفية، التي تأتي عليها المفردة، فقد أكثر من استعمال المشتقات مثل اسم الفاعل واسم المفعول والمصادر.
- ١١ - المتأمل لتراكيب هذه القصيدة، يلحظ - بوضوح - هيمنة النظام الفعلي على إحداثها، وهي هيمنة أبتغى الشاعر من خلالها، خلق أجواء الحركة بين مفاصل القصيدة، وثناياها، مما أسهم في تعميق المعنى وأضفى الأثر الحسي والمعنوي عليها.
- ١٢ - كان الشاعر موفقاً في استعمال بعض المقومات البنائية التي أسهمت في تعميق المعاني التي أنتجها النص، من ذلك التكرار، والإكثار من تقديم الخبر على المبتدأ، والحذف، والطباق. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا أبي القاسم محمد واله الطيبين الطاهرين.

ثبت المصادر والمراجع :-

- ١ - الأدب العربي : عمر فروخ، دار التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م.
- ٢ - الاسس الجمالية في النقد العربي : د. عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م.
- ٣ - البديع : عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) أغناطيوس كرانسكو فسكي، منشورات دار الحكمة، دمشق، (د.ت).
- ٤ - البلاغة والتطبيق : د. احمد مطلوب و د. حسين البصير، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط٢، العراق، ١٩٩٩م.
- ٥ - البيان والتبيين : ابو عمرو عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط٥، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٥م.
- ٦ - تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القران : ابو محمد زكي الدين المصري المعروف بابن ذي الاصبغ (ت٦٥٤هـ)، تحقيق : حنفي محمد شرف، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- ٧ - التراكيب النحوية : د. هاي النهر، ط١، دار اليازودي العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، (د.ت).
- ٨ التعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرائي، ط٥، دار عمار، الاردن، ٢٠٠٧م.
- ٩ - التمهيد في علم التجويد : شمس الدين ابي الخير محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحقيق غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت، ١٩٩٧م.
- ١٠ - حديث الاربعاء، د. طه حسين، ط١٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ١١ - حسن التوصل الى صناعة الترسل : شهاب الدين محمود الحلبي (ت٧٢٥هـ) تحقيق : اكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
- ١٢ - خزانة الأدب وغاية الأرب : ابن حجة الحموي، القاهرة، (١٣٠٤هـ).
- ١٣ - دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، (د.ت).
- ١٤ - ديوان ابي ذؤيب الهذلي، تحقيق د. انطونيوس بطرس، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ١٥ - سر صناعة الاعراب : ابو الفتح بن جني (ت٧٩٢هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل واحمد رشدي شحاته، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

- ١٦ - سر الفصاحة : ابو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، صححه وعلق عليه : عبد المتعال الصعدي، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، مصر، ١٩٥٢م.
- ١٧ - شذا العرف في فن الصرف : احمد بن محمد الحملاوي، تحقيق، محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت).
- ١٨ - شعراء الواحدة : نعمان ماهر الكنعاني، ط ٢، مكتب النقاء، بغداد، ١٩٨٥م.
- ١٩ - الصرف الواضح : عبد الجبار التايلاه، ط ٢، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.
- ٢٠ - العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٤، دار الجبل، بيروت، ١٩٧٢م.
- ٢١ - عيار الشعر : ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق : د. طه الحاجري و د. محمد زغلول سلام، القاهرة، مصر، ١٩٥٦م.
- ٢٢ - فقه اللغة وسر العربية : ابو منصور عبد الملك الثعالبي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق : حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
- ٢٣ - في الميزان الجديد : د. محمد مندور، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ٢٤ - في النقد الأدبي الحديث ؛ منطلقات وتطبيقات : د. فائق مصطفى و د. عبد الرضا علي، ط ٢، دار الكتب للطباعة و النشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٠م.
- ٢٥ - الكشكول : بهاء الدين محمد العاملي (ت ١٠٣١هـ)، ط ٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ١٩٩٩م.
- ٢٦ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق : كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
- ٢٧ - مخارج الحروف وصفاتها : لأبي الاصبغ السماني الاشيلي المعروف بإبن الطحان (ت ٥٦٠هـ) تحقيق محمد يعقوب تركستاني، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٢٨ - مختار الصحاح : محمد بن ابي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.
- ٢٩ - المزهري في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، شرح وضبط : محمد جاد المولى و محمد ابو الفضل إبراهيم، وعلي محمد الجاوي، ط ٣، دار التراث القاهرة، (د.ت).
- ٣٠ - مصارع العشاق : أبو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج القارئ (ت ٥٥٠هـ)، ط ٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٣١ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د. أحمد مطلوب، ط ٢، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ١٩٩٣م.
- ٣٢ - المعجم المفصل في علم العروض وفنون الشعر : د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
- ٣٣ - معجم المؤلفين : عمر رضا كحّالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
- ٣٤ - المهذب في علم الصرف : د. هاشم طه شلاش، و د. صلاح مهدي الفرطوسي، د. عبد الجليل عبيد حسين، ط ٣، مطبعة التعليم العالي في الموصل، ١٩٨٩م.
- ٣٥ - موسيقى الشعر : ابراهيم أنيس، ط ٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

- ٣٦ - الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ)، تحقيق : احمد الارناووط، وتركي مصطفى، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
- ٣٧ - الوافي في النحو والصرف : د. حبيب مغنية، ط ٢، مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.